[141] فكل العالم تصنيف ا تعالى فمن نظر إليها من حيث إنها فعل ا، وعرفها من حيث إنها فعل ا، وأحبها من حيث إنها فعل ا، لم يكن ناظرا إلا في ا ولا عارفا إلا با، ولا محبا إلا ، وكان هو الموحد الحق الذي لا يرى إلا ا، بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه، بل من حيث هو عبد ا، فهذا هو الذي يقال فيه إنه فني في التوحيد، وإنه فنى في نفسه، وإليه الاشارة بقول من قال: كنا بنا، ففنينا عنا، فبقينا بلا نحن. فهذه امور معلومة عند ذوي البصائر، أشكلت لضعف الافهام عن دركها وقصور قدرة العلماء عن إيضاحها وبيانها، بعبارة مفهمة موصلة للغرض إلى الافهام، ولاشتغالهم بأنفسهم، واعتقادهم أن بيان ذلك لغيرهم مما لا يغنيهم. فهذا هو السبب في قصور الافهام عن معرفة ا تعالى، وانضم إليه أن المدركات كلها التي هي شاهدة على ا، إنما يدركها الانسان في الصبى عند فقد العقل قليلا قليلا، وهو مستغرق الهم بشهواته، وقد أنس بمدركاته ومحسوساته إلفها، فسقط وقعها عن قلبه بطول الانس، ولذلك إذا رأى على سبيل الفجأة حيوانا غريبا، أو فعلا من أفعال ا خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعا فقال: " سبحان ا " وهو يرى طول النهار نفسه وأعضاءه وساير الحيوانات المألوفة، وكلها شواهد قاطعة، ولا يحس بشهادتها لطول الانس بها. ولو فرض أكمه بلغ عاقلا، ثم انقشعت الغشاوة عن عينه، فامتد بصره إلى السماء والارض، والاشجار والنبات، والحيوان، دفعة واحدة على سبيل الفجأة. يخاف على عقله أن ينبهر، لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب على خالقها. وهذا وأمثاله من الاسباب، مع الانهماك في الشهوات، وهي التي سدت على الخلق سبيل الاستضاءة بأنوار المعرفة، والسباحة في بحارها الواسعة والجليات إذا صارت مطلوبة، صارت معتاصة (1)، فهذا سد الامر، فليتحقق ولذلك قيل:

_____ (1) اعتاص عليه الامر: أي التوى، منه رحمه ا. _____